وقال ابن بطال : يؤخذ منه التثبت فى خبر الواحد لما يجوز عليه فى السهو وغيره

وقد رأيت من قبل ما فعله عمر مع أبى هريرة وغيره . ولم تكثر أحاديث أبى هريرة إلا بعد وفاة عمر، فقد روى عن أبى سلمة عن أبى هريرة ـ وقلت له ـ أكنت تحدث ـ فى زمان عمر هكذا ؟ قال :

لو كنت أحدث فى زمان عمر مثل ما أحدثكم لضربنى بمخفقته، وفى رواية : إنى لأحدث أحاديث لو تكلمت بها فى زمان عمر — أو عند عمر — لشج رأسى !

وعن أبى سلمة سمعت أبا هريرة يقول : ما كنا نستطيع أن نقول قال رسول الله ، حتى قبض عمر

وعن الزهرى : أن أبا هريرة كان يقول : أفكنت محدثكم بهذه الأحاديث وعمر حى ! أما والله إذاً لأيقنت أن المخفقة ستباشر ظهرى، فإن عمر كان يقول: اشتغلوا بالقرآن فإن القرآن كلام الله

ولهذا لما بعث أبا موسى إلى العراق قال له :

إنك تأتى قوماً لهم فى مساجدهم دوى بالقرآن كدوى النحل فدعهم على ما هم عليه ولا تشغلهم بالأحاديث وأنا شريكك فى ذلك

ولم يتمكن أبو هريرة من الاتساع فى الرواية إلا لأن الخلفاء الذين جاءوا بعد عمر لم يتشددوا كما تشدد عمر، ومن ثم استفاضت الرواية وتوسع الناس فيها ، ودخلها ما دخلها مما لا تزال ـ وإن تزال ـ باقية باستمساك الحشوية بها

المنصورة «للكلام صلة» محمود أبو ريه

مصر واليونان

« مهداة الى معالى الدكتور طه حسين باشا »

للأستاذ إبراهيم الترزى

كان لتلك الدعوة الكريمة التى وجهتها اليونان إلى معالى الدكتور طه حسين باشا لمنحه الدكتوراه الفخرية من جامعة « أثينا » ، وكان للحفاوة البالغة التى استقبلته بها ملكا وحكومة وشعبا ، أثر جميل خفق له قلب مصر ، وجدد لها ذكرى صلتها الثقافية القديمة باليونان ..

وكان ذلك التكريم الرائع الذى أحاط بمعالى الدكتور العظيم ، شعورا نبيلا بجميل مصر على اليونان ، وحنينا إلى تلك الصلة القوية التى ربطت هاتين الأمتين العظيمتين فى غابر الأزمان !

ويحسن بنا — فى هذه المناسبة — أن نذكر شيئا عن هذه الصلة الثقافية العريقة ، وأن نشير إلى آثار مصر فى نهضة اليونان الفكرية قديما .. فقد تمخضت هذه الصلة عن مدنية عظيمة أيقظت الفكر الإنسانى ، ومنحته تراثا لا يزال حيا زاهرا إلى اليوم

مما لاشك فيه أن صلة مصر باليونان قديمة ترجع تقريبا إلى الألف الثالث قبل الميلاد ، فقد كانت مصر على أوثق اتصال بجزيرة « كريت » فى ذلك العهد القديم ، وقد تأثرت هذه بحضارة مصر وأخذت عنها الكثير من فنونها التى انتقلت فيما بعد إلى داخل بلاد اليونان . والتاريخ يذكر لنا أن الكريتيين خضعوا قديما للسيادة المصرية ، وقد تأيد هذا بالعثور على طبق من الذهب محلى بالنقوش كان « تحتمس الثالث » قد أهداه إلى قائد من قواده عينه حاكما على « كريت » وغيرها من الجزر المجاورة لها

وها هو ذا الأستاذ « ماسون أورسيل » يقرر تلك الصلة القديمة قائلا : « عندما انتقل أثر كريت إلى بلاد اليونان الداخلية فى خلال النصف الأول من الألف الثانى ق . م أدخل معه ثمرات دلتا النيل ، إذ كانت جزيرة كريت متصلة اتصالا وثيقا بمصر منذ الألف الثالث ق. م .. ولقد اشترك الكريتيون فى الثقافة المصرية كما يستدل من خطهم المؤلف إلى حد كبير من حروف هيروغليفية ، وهذا جعلهم يصطبغون بصبغة الثقافة المصرية سواء فى ميسين أم فى أيونيا » (١)

وإن التاريخ يذكر لنا أنه كانت لليونانيين بمصر — فى الزمن

(١) الفلسفة فى الشرق : الأستاذ ماسون أورسيل : ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى . ص ٥٠

القديم - منطقة خاصة بهم فى شمال الدلتا ، وكانوا يتمتعون بامتيازات كثيرة تحبب لهم البقاء فى مصر

ومما لاشك فيه أيضا أن اليونان قد استفادت أجل الفوائد من هـذه الصلة التى أحيت فـكرها ، وغذته بلبان المعرفة ، وربته حتى شب ، وتحرر وانطلق إلى سماء المعرفة يحلق فى آفاقها الفسيحة الممتدة ، ويتجاوب مع أسرار الـكون ، ويفيض بنوره على العالمين

والواقع أن اليونان قد حملت من مصر اللبنات التى أسست بها صرح مدنيتها الشاهقة ، وإن الآثار التى يكتشفها الباحثون فى أرض مصر الخصبة بالأفـكار والحضارة تؤكد هذا ... فليس خافيا أن مصر أعرق حضارة ، وأقدم مدنية من اليونان ... وقد اكتشف عالم فرنسى خلف الهرم الغربى جثة موظف من عهد الدولة الأولى وجدت على تابوته تلك العبارة « هذه جثة الحارس الأكبر لدار الـكتب الملـكية » وقد علق الأستاذ « ماسبيرو » على هذا بقوله : إن هذه المـكتبة التى كان هذا الموظف الـكبير مديرها أو حارسها كانت تحوى بين جدرانها كثيرا من الـكتب فى الأدب والفلسفة والأخلاق والتاريخ والاجتماع والقانون والسياسة والطب والحساب والهندسة والفلك والسحر والتنجيم.(٢) وإن هذا يؤكد لنا أنه قد سبقت هذه الدولة الفرعونية الأولى بأمد طويل حياة حافلة بشتى المعارف والعلوم ... وإن هذا أيضا يجعلنا نستحث علماء الآثار والباحثين لـكى يستجيبوا للنداء الحار المنبعث من أوراق البردى وغيرها من الآثار الراقدة فى المتاحف وفى جوف الثرى .. ذلك النداء الملح الذى يدعوهم لبعثها وإحياء ما فيهـا من أفكار ومعارف وليس أدل على قوة الروح العلمية التى كانت سائدة فى مصر من هذه المدارس التى كانت منتشرة فى أنحائها ، تحفل بشتى المعارف والعلوم » فقـد كان المصريون يحبون العلم ، ويحضون أبناءهم عليه ، ويرونه أشرف مطلب للانسان فى الحياة ... وكانت لهم مدارس تعلم القراءة والـكتابة والحساب والهندسة والطب والفلك والنحت والتصوير والموسيقى وغير ذلك من العلوم والفنون ، وكانت مدارسهم هـذه منتشرة فى كل إقليم ، وكانت فى الغالب ملحقة بالمعابد . ومن مدارسهم الـكبيرة التى اشتهر ذكرها ، والتى يمكن أن تسمى فى التعبير الحديث جامعات ، مدرسة هليوبوليس (أون) ، ومدرسة سايس (صا الحجر) ومدرسة هرموبوليس (خمينو أو أشمون) ومدرسة طيبة ، ومدرسة أبيدوس (المرابة المدفونة) ومدارس أخرى مختلفة (٣)

ولاشك أن كثيرا من مفكرى اليونان قد تتلمذ فى هـذه المدارس على أساتذة مصريين ونهل من معارفهم مما كان له أكبر الأثر فى علومهم وفلسفاتهم التى غزت العالم أجمع . يؤكد هذا المؤلفون اليونانيون أنفسهم إذ يقولون : « إن العلوم كانت مجهولة كل الجهل لدى اليونانيين حتى ملك أبسمانيك عرش مصر وفتح أبواب بلاده للأجانب بعد طول إقفالها ، فتقاطر إلى وادى النيل الملاحون والتجار والسياح من اليونان ، فبهرتهم المدنية المصرية ، وكانوا على كثير من البربرية فاعتزم أولو الفهم منهم تعلم ما ينقصهم فى مدارس الـكهنة بمصر ... وكذلك جاء طاليس وصولون وأفلاطون وفيثاغورس فحصلوا ماخلد أسماءهم فى بطون التواريخ ، ومعروف أن فيثاغورس وحده قضى بمدارس ممفيس وطيبة عشرين سنة » (٤)

إن أول فيلسوف يونانى — وهو طاليس — قد حج إلى مصر وبهرته حضارتها ومعارفها لدرجة أنه أوصى « فيثاغورس » بزيارتها ! وأثر مصر فى « طاليس » واضح بين يظهر فى مذهبه القائل بأن أصل الـكون هو الماء ، فقد تأثر فيه بأسطورة مصرية قديمة تقول إن الماء قد وجد قبل أن يوجد شئ فى الـكون لأنه العنصر الأول المشتمل على جميع عناصر الوجودات

وفيثاغورس صاحب الفلسفة الرياضية العميقة قد تأثر أيضا بمصر فقد قضى فيهـا — كما يذكر المؤرخون — عشرين عاما ينهل من معارفها وعلومها ، وأخذ عنها نظريتى خلود الروح وتناسخ الأرواح كما يشير إلى ذلك الأستاذ « ليجران » فى تعليقه على « هيرودوت » حينما ذكر الأخير فى الفقرة رقم ١٢٣ أن

(٢) الفلسفة المصرية : الدكتور محمد غلاب . ص ٦١

(٣) على هامش التاريخ المصرى القديم : عبد القادر حمزة باشا . المجلد الأول ص ١٣٥

(٤) الحضارة المصرية : الدكتور غوستاف لوبون : ترجمة الأستاذ محمد صادق رستم ص ٩٠

المصريين أول من قالوا بخلود الروح ، ثم أشار إلى قولهم بتناسخ الأرواح وقال : « ومن اليونانيين من نقلوا هذه النظرية بعضهم قديما وبعضهم حديثا وظهروا بها فى اليونان كأنها نظريتهم وكأنهم هم الذين وضعوها ، وأنا أعرف أسماء هؤلاء الذين فعلوا هذا ولكنى لا أذكرها » . يعلق « ليجران » مترجم هيرودوت على هذا بقوله : وهؤلاء الذين أبى هيرودوت أن يذكر أسماءهم هم الأورفيون وفيريسيد وفيثاغورس وأمبيدوكل » . ويطيب لى هنا أن أذكر تعليق المرحوم عبد القادر حمزة باشا على قول هيرودوت هذا إذ يقول : وهذا هو الذى يفسر لنا هذه الظاهرة الغريبة ... وهى أن كثيرا من العلماء اليونانيين الذين أقاموا فى مصر واتصلوا بمدارسها ثم عادوا إلى بلادهم وكتبوا مؤلفاتهم لم يقل واحد منهم إنه اقتبس منها علما أو فنا » (٥) . والواقع أن قول هيرودوت قد كشف لنا عن حقيقة هامة يجب أن يوليها الباحثون عناية فائقة ، فإنه من الجائز أن يغفل مفكرون يونانيون غير من عرفهم هيرودوت هذه الفعلة إزاء نظريات أخرى ، فعليهم أن يعنوا بالكشف عن الآثار ودراستها ، فلعلهم واصلون إلى أدلة أقوى من التى بأيدينا الآن مما يزيدنا يقينا بقوة الصلة بين مصر واليونان ، فإن المؤلفين الغربيين والشرقيين لم يتأكدوا من آثار مصر فى اليونان ، بل إن بعضهم لم يذكرها ولم يشر إليها إلا بعد أن ظهرت هذه الكتشفات العظيمة التى أكدت قوة هذه الصلة وعمقها

نعود إلى فيثاغورس وجماعته فنقول إن الفيثاغوريين قد تأثروا أيضا بكتاب الموتى فقد اكتشف الباحثون أنهم كانوا يضعون فى قبور موتاهم صفائح ذهبية رسمت عليها الطرق التى يجب على الروح أن تسلكها بعد الموت وكتبت عليها الصلوات التى تتلوها . . مما يشبه ما جاء فى كتاب الموتى !

أما « ديموكريت » فيلسوف الذرة « فقد كان من أهم الأسفار التى أثرت فى حياته العلمية إقامته بمصر التى يحدثنا هو أنها استغرقت خمسة أعوام كاملة قضاها كلها فى تلقى علم الهندسة على علماء وادى النيل » كما يصرح بذلك الأستاذ « جانيه » (٦)

« وأفلاطون » أيضا قد زار مصر ، واتصل بعلمائها ، وتأثر بهم ، فقد قال العالم شمبوليون : « تعلم فيثاغورس بمصر كل ما استطاع معرفته ، وتعلم بها أيضا سولون وطاليس كل ما علماء اليونانيين ، ومعروفة لدينا أسماء الأساتذة الذين تلقى عنهم أفلاطون علمه بمصر فى مدرسة هليوبوليس » (٧)

أما الأستاذ « جول بابى » فإنه بعد أن يذكر أن فيثاغورس قد وضع نظريته فى تناسخ الأرواح اقتباسا من مصر ، يحدثنا بأن أفلاطون أيضا قد أخذ كثيرا من مصر ، ثم بعد أن يعدد ما أخذه ذلك الفيلسوف العظيم عنها ويبين أثر ذلك فى فلسفته يختم كلمته قائلا : « وهذا كله مأخوذ من مصر ، وكان من الضرورى أن تجد الفلسفة الأفلاطونية — والأفلاطونية الحديثة — تربة صالحة لها فى مصر لأن جذورهما مصرية » . ويذكر أيضا « جول بابى » أن كثيرا من مفكرى اليونان قد زار مصر وتأثر بمعارفها ، فإنه بعد أن يشير إلى ما اقتبسه اليونانيون من المصريين فى مصير الإنسان بعد موته ، وبعد أن يقرر أن المصريين هم أساتذة العالم فى هذا الموضوع يقول : « وكان كثير من اليونانيين المشهورين يفتخرون بأنهم ساحوا فى مصر ، وكان تلاميذ هؤلاء العلماء والمعجبون بهم يرون شرفا لهم أن يكونوا قد تنقلوا فى مصر ، فمن الشعراء مثلا هومير وأورفى وموزى وميلامب ، ومن المشرعين ليكورج وسولون ، ومن المؤرخين هيكاتى وهيرودوت وهيلانيكوس ، ومن الفلاسفة والعلماء طاليس وفيثاغورس وكزينفون وديموقريت وإيدوكس وإينوبيد وأفلاطون » (٨)

وإن الأستاذ « ماسون أورسيل » قد قرر بعض آثار مصر فى اليونان حين عرض للصلة التى كانت قائمة بينهما بقوله : « وأهم ما أخذته العقلية الإغريقية عن مصر هو الهندسة التى تعد النموذج الأصيل للمعرفة حسب مذهب أفلاطون » ثم يذكر أن مقاييس

(٥) على هامش التاريخ المصرى القديم : عبد القادر حمزة باشا . المجلد الثانى ص ١٨ ، ١٩

(٦) Janet et seailles Ouvrage cie P 925
عن كتاب : الفلسفة الإغريقية للدكتور محمد غلاب

(٧) الحضارة المصرية : الدكتور غوستاف لوبون : ترجمة الأستاذ محمد صادق رستم . ص ٨٠

(٨) على هامش التاريخ المصرى القديم : عبد القادر حمزة باشا . المجلد الثانى ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦

المسطحات والمكعبات كانت دقيقة إلى أقصى حد عند قدماء المصريين ، ويشير إلى نضوج علم الحساب لديهم ذاكرا أن حساب الكسور كان بعد أهم شئ فى هذا العلم ، ويذكر أيضا أن حل المعادلات الرياضية كان من الأمور اليسيرة عندهم إلى أن يقول : « وكل هذه المعارف والعلوم قد أخذها اليونانيون عن قدماء المصريين بما فى ذلك خيط البناء والساعة الشمسية وساعة الماء ثم يستطرد قائلا : « وكان علم الفلك موضع ملاحظات منظمة ومتوالية فقد جعلت السنة ٣٦٥ يوما وربع يوم مقسمة إلى اثنى عشر شهرا ، وكان الأسبوع سبعة أيام مسماة بأسماء الكواكب السيارة السبعة ، واليوم مكونا من اثنتى عشرة ساعة نهارية ومثلها ليلية .. وفكرة البروج وشكل الكون الكروى ، وكروية الشمس والقمر لا الأرض التى كانت تعد حلقة مستوية ممتطقة بالمحيط ، وطبيعة النجوم النارية ، وشرح الخسوف والكسوف ... » الخ « وكل هذه المعارف والأفكار قد أخذه اليونانيون — إما قضية مسلمة وإما موضعا للنظر والبحث — عن قدماء المصريين . . . وإليهم أيضا يمكن أن تنسب نظرية العناصر الأربعة فى الطبيعة مع فكرة أن الماء هو العامل الأساسى » (٩)

ولقد تأثرت اليونان أيضا بالديانة المصرية القديمة التى يجمع الباحثون على أنها أول ديانة بشرية فى الوجود ، وأكبر مثل على هذا التأثير انتشار عبادة « إيزيس » فى اليونان ، وتشييد معابدها على الطراز المصرى ، والتعبد فيها بطقوس شبيهة بالطقوس المصرية ، حتى أن بلوطرك اليونانى ألف كتابا عن « إيزيس وأوزوريس » ، ومما جاء فيه قوله : إن « هذا الشعب (يريد الشعب المصرى) لم يكن كما يتوهمه بعضهم يدخل فى حفلاته الدينيه أى مبدأ غير معقول ولا أى عنصر يوعز به الوهم أو توعز به الوسوسة ، وإنما كانت عاداته تقوم على ما فى اتباع هذه العادات نفسها من الفوائد أو على الافتنان فى تسجيل ذكريات تاريخية قديمة أو على إيضاح نواميس طبيعية » (١٠)

(الفقرة A من كتاب « Isis et Osiris » من الترجمة الفرنسية المطبوعة سنة ١٩٢٤) ثم يستطرد بلوطرك بعد ذلك إلى أسطورة « إيزيس وأوزوريس » فيقول : « إنها إحدى العقائد المستورة تحت ستار قصص وكتابات لا يظهر من خلالها إلا أثر قليل من الحقيقة المقصودة » (١١)

ومما لاشك فيه أن القوانين المصرية قد أثرت فى القوانين اليونانية ، بل امتدت آثارها إلى القوانين الرومانية وبخاصة قانونها المسمى « قانون الألواح الإثنى عشر » « والقانون الرومانى » الذى اقتبست منه أوربا قوانينها الحديثة

ومن الواضح الجلى أيضاً أن اليونان قد تأثرت فى فنونها إلى حد كبير بالفنون المصرية ، فإن الباحث يرى كثيرا من الملامح المصرية فيما خلفته اليونان من تراث فنى خالد !

وجميع ما تقدم يكشف لنا عن الجذور المتأصلة القوية التى ربطت الثقافة اليونانيه بالثقافة المصرية فى الزمن القديم ، ويبين مدى عمق هذه الصلة العريقة التى تفاعلت فيها الثقافتان إلى حد جعل الدكتور « غوستاف لوبون » يقول : « ولا نعلم تفصيلات ما تلقاه الإغريق عن المصريين ولكننا ندرك أنها معظم المعارف التى تضمنتها كتبهم، إذ لم يكن لهم من قبل كتب ولا علوم ذات شأن . . وما تقدم يدلنا أيضا على أن أصول العلم نهاية فى القدم ، فليس الإغريق هم الأصل ما داموا قد تلقوا العلم عن المصريين وتقدمهم هؤلاء بآلاف السنين ، وعلى هذا يصح لنا القول بأن العلم كالمدنية صرح واحد تعمل فى بنائه الأمم على التوالى ، واحدة وراء أخرى ، فإذا تقرر هذا صح أيضا أن نبحث عن مبلغ علوم المصريين فى تآليف الإغريق الذين عاصروهم مثل فيثاغورس وأفلاطون » (١٢)

حقيقة أن الفكر اليونانى قد تتلمذ على الفكر المصرى ، ولكن من الواضح البين أنه بعد ذلك فاق أستاذه كثيرا وبزه فى كل مجال ، وتسلم منه مقاليد الفن والفكر ، واستوى على عرشه المقدس ، ومنح العالم تراثا حيا ناضجا من الفلسفات والعلوم والفنون ، وحرك عجلة الإنسانية فقطعت أشواطا جبارة

(٩) الفلسفة فى الشرق : الأستاذ ماسون أورسيل : ترجمة محمد يوسف موسى : ص ٥٥ ، ٥٦

(١٠)، (١١) على هامش التاريخ المصرى القديم : عبد القادر حمزة باشا المجلد الثانى ص ٤٤ ، ٤٥

(١٢) الحضارة المصرية : الدكتور غوستاف لوبون : ترجمة الأستاذ محمد صادق رستم . ص ٩١